جماليات الزمان والمكان في شعر ذي الرمة

د. عائشة الأمين محمد عمر سليمان. كلية التربية. أبو عيسى ، جامعة الزاوية

الحمد لله، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد:
فإن المتأمل في الشعر العربي الجاهلي يجد علاقة واضحة وكبيرة تربط الشاعر ببيئته ، وتتخذ من عنصري الزمان ، والمكان مرتكزا أساسيا يكسب هذه العلاقة صبغة خاصة تتعمق، وتتوطد فتتحول إلى رؤية واضحة للواقع العربي بطريقة جمالية وإبداعية ، والزمان والمكان من أهم عناصر الإبداع، والجمال الفني في الشعر العربي ؛ ولذلك وصفهما الشعراء وصفا حسيا صادقا ، وجميلا ، فنجد كلمات تدل على الزمان تجسد الحوادث على أنها واقعة ، وحقيقة، ويدل على استمرار الواقع ، ويربط بين الماضي والحاضر، وقد تكون ألفاظ الزمان والمكان رمزا لبعض الحقائق ، ولها دور في بيان الحوادث، ونقل الأحاسيس، حيث عبر الشعراء بألفاظ الزمان والمكان عن أحاسيسهم ، وعواطفهم، فأخبروا بها عن أيامهم، وحروبهم ، وترحالهم ، فعندما ندرس الشعر العربي نجدان الشعراء اهتموا بالزمان والمكان في تعابير مختلفة تصور واقع حياتهم وأحداثها تصويرا دقيقا .

أسباب اختيار الموضوع:

1- الرغبة في دراسة الشعر العربي الاموي.
2- دراسة وفهم بعض عناصر الشعر الاموي متمثلة في الزمان والمكان.

أهداف الدراسة:

1- إبراز الجمال اللغوي لعنصري الزمان والمكان في شعر ذي الرمة.
2- توضيح دلالات الزمان والمكان في شعر ذي الرمة.

أهمية الدراسة:

1- تتجه هذه الدراسة إلى تناول ألفاظ الزمان والمكان وما تؤديه من دلالات ومعان.
2- بيان بلاغة شعر ذي الرمة وفصاحته.

منهج الدراسة:

ستتبع هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي إذ سنعرض بعضا من ألفاظ الزمان والمكان وتحليلها.

مادة الدراسة:

تتمثل مادة الدراسة في شعر ذي الرمة من خلال ديوانه.

تمهيد:

التعريف بالشاعر : هو غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي التميمي، وكنيته أبو الحارث، وذو الرمة شاعر عربي من شعراء العصر الأموي ولد سنة (77 ه) وتوفي سنة (117ه)، اشتهر بذي الرمة بضم الراء، والرمة بضم الراء تعني الحبل البالي، وبكسر الراء تعني العظم البالي، وأطلق عليه هذا اللقب لبيت قاله:

لم يبق غير مثل ركود غير ثلاث باقيات سود.

وغير باق ملعب الوليد وغير مرضوخ القفا موتود. (1)

مكانته الشعرية:

كان ذو الرمة من فحول العصر الأموي، وقد كان أهل البادية يعجبون بشعره، وقد اشتهر ذو الرمة بحبه (مي)، وهي بنت مقاتل المنقري وكان كثير التغزل بها. (2)

جمالية الزمان في الشعر العربي:

أولا مفهوم الزمان:

أ -الزمان لغة: الزمان من الفعل زمن يزمن زمنا وزمانه، أزمن الشيء: طال عليه الزمان (3). والزمان: "الوقت قليله وكتبره، ومدة الدنيا كلها، ويقال السنة أربعة أزمنة: أقسام، أو فصول، جمعه أزمنوا أزمن " (4) وقد عرف الزمان بأنه الوقت أي: المدة الواقعة بين حادثتين، وجمع الزمان أزمنة. (5)

بالنظر في هذه التعريفات السابقة يتضح أن الزمان عموما هو الوقت، ويجمع على أزمنة، وهو يحدد الفترة التي يريدها المتكلم.

ب -الزمان اصطلاحا: الزمن شيء نفسي غير محسوس، ولا يقصد به الأيام والسنوات والشهور، بل هو شيء معنوي، وقد عرفه علماء اللغة تعريفات عده، فهو "ضرب من الخليط المتحرك الذي يجري الأحداث على مرأى ملاحظ وهو أبدا في مواجهة الحاضر." (6)

ثانيا ـ أهمية الزمان في الشعر العربي:

يعتبر الزمن محور القصة في الشعر العربي، فهو ما يعتمد عليه الشاعر في سرد قصته الشعرية، أو حديثه، فالزمن من أهم التقنيات التي يستطيع الشاعر من خلالها أن يعطي المتلقي الخيال الذي يسمح له بتصور الحقيقة، فالشاعر يجسد إحساسه بالزمن الذي ينقله للمتلقي؛ لأنه لا يوجد أحداث ولا شخصيات خارج إطار الزمن، وبالتالي فالزمن هو الجانب المعنوي المشاكل للحياة. (7)

ونجد أهمية كبرى للزمن لأنه يعمق الإحساس بالحدث الذي يحيكه الشاعر لدى المتلقي. (8)

أنواع الزمان:

يعد الزمان من العناصر المهمة في الشعر العربي حيث أن له دور كبير في سرد الواقع العربي، ووصفه ضمن أزمنة مختلفة، ومتعددة؛ لذلك كانت هناك أنواع مختلفة من الزمان في العمل الشعر الاموي

1. **الزمن الطبيعي (الخارجي):** وهو ما يعبر عنه بالألفاظ مثل: السنة، والشهر، واليوم، والمساء، والليل، والنهار، ولكن هذه الألفاظ لا تتطابق تطابقا حقيقيا مع الواقع الخارجي، فالزمن في لفظ (اليوم) في القصيدة الاموية قد لا يتطابق مع المدة الزمنية للفظ اليوم في الحقيقة. (9)
2. **الزمان النفسي (الداخلي):** وهو هنا لا يخضع لمعايير ولا مقاييس، فهو يعبر عن دواخل الإنسان، وحالته النفسية، فإذا كان حزينا يكون الزمن طويلا عنده، أما إذا كان سعيدا فهولا يشعر بمرور الزمن، فالبعد الزمني يرتبط بالشخصية لا بالزمن، من حيث الذات التي تأخذ محل الصدارة، وبالتالي فالزمن يندمج مع الحالة لنفسية للشخصية. (10)

وقد وردت ألفاظ كثيرة تفيد الزمان في ديوان ذي الرمة تؤدي كل منها معاني تدل إما على زمنها الحقيقي أو ترمز لمعنى معين. ومن هذه الألفاظ ما يلي:

1. لفظ (اليوم):

وهذه بعض النماذج من شعر ذي الرمة:

يقول ذو الرمة:

خليلي عوجا اليوم حتى تسلما على دار مي من صدور الركائب. (11)

ورد في هذا البيت لفظ (اليوم)، وهو من ألفاظ الزمان، فهو يفيد الزمان في وقت معين، ومحدد، إلا أن الدلالة التي أرادها الشاعر هي رمزية، وليست حقيقية، فهو يطلب من خليليه أن يذهبا ويسلما على دار (مي) اليوم، فهو لم يقصد به الفترة الزمنية المحددة للفظ (اليوم)، ولكن يريد في أقرب وقت.

ب -يقول ذو الرمة:

فلله شعبا طية صدعا العصا هي اليوم شتى وهي أمس جميع. (12)

الشاعر هنا يريد أنهما شعبتان صدعا العصا، أي: فرقا الجماعة، و(الطية): النية والسفر الذي تريده والوجهة، فهو يقصد أنها اليوم شتى، وبالأمس متجمعة، فهو حدد هنا الزمان بلفظي (اليوم وأمس) إلا أن المعنى الذي يريده الشاعر هو معنى رمزي، وليس حقيقي فالمعنى الرمزي للفظ (اليوم): أي: الماضي، والمعنى الرمزي للفظ (أمس) أي: الحاضر، فهم في الماضي متفرقون، وفي الزمن الحاضر مجتمعون، ونلاحظ هنا أن لفظ (اليوم) جاء معرفا وذلك من أجل تحديد الزمن المقصود.

ج -يقول ذو الرمة:

زين الثياب وإن أثوابها استلت فوق الحشية يوما زانها السلب. (13)

في هذا البيت استخدم الشاعر لفظا يدل على الزمان، وهو لفظ (يوما)، وهو يدل على الزمان من غير تحديد؛ لأنه أتى به نكرة فهو يقصد به أن محبوبته تزينها ثيابها كما تزينها أخلاقها، دائما أي زمنا مطلقا، وهذا الإطلاق في المدة الزمنية فهمناه من كلمة (يوما)، إذ جاءت نكرة.

د - يقول ذو الرمة:

فما لام يوما من أخ وهو صادق إخائي ولا اعتلت على ضيفها إبلي. (14)

وهنا فإن ذي الرمة يريد أن ينفي عن مخاطبه أنه يلومه وهو صادق، وإنما يلومه وهو كاذب، ويذكر أن إبله إذا لم يكن فيها لبن فإنها تنحر لضيوفه، وهذا الذي نقله إلينا الشاعر ليس محددا بمدة زمنية معينة وإنما دائما فهي صفة متأصلة، فيه وليست مؤقتة، وهذا ما فهمناه من ظرف الزمان (يوما) فهو قد أتى بصيغة النكرة.

هـ - يقول ذو الرمة:

إذا انتمت الأجداد يوما إلى العلا وشدت لأيام المحافظة الأزر. (15)

الشاعر هنا ينسب العز والأمجاد للأجداد، وهذا دوما، وفي الحرب، وغير الحرب، وهذا مستفاد من لفظ (يوما)، لأنه جاء بصورة نكرة فأعطى معنى العموم.

2 – لفظ (ساعة):

أ -يقول ذي الرمة:

وإن لم يكن إلا تعلل ساعة قليلا فإني نافع لي قليلها. (16)

يريد الشاعران مخاطبه يتعلل في حديثه ساعة أي: مقدارا بسيطا، فهو هنا رمز لهذا المقدار البسيط من الزمن بقوله :(ساعة)، وهي لفظ يفيد الزمان، ولكنه هنا رمز لزمان معين ليس بالحقيقي.

ب -يقول ذو الرمة:

خليلي عوجا ساعة ثم سلما عسى الربع بالجرعاء أن يتكلما. (17)

يقصد بلفظ (ساعة) أن يرمز لزمن افتراضي وليس حقيقي.

3-لفظ (حين):

أ -يقول ذو الرمة:

تزداد للعين إبهاجا إذا سفرت وتحرج العين فيها حين تنتقب. (18)

أي: حين تحير وتضيق عن النظر فلفظ (حين) هنا ظرف يفيد الزمان، ويعطي معنى مقدار معين منه تضيق العين فلا تقدر أن تنظر إلى غيرها.

ب - يقول ذو الرمة:

ولا ح أزهر مشهور بنقبته كأنه حين يعلو عاقرا لهب. (19)

الشاعر هنا يصف الثور في بياضه، وشبهه بالنار في شده بياضه، وإضاءته حين يعلو عاقرا، والعاقر: الرمل الذي لا ينبت أعلاه، فاستخدامه لفظ (حين) هنا أعطى معنى أنه يشبه النار في زمن علوها على الرمل.

ج -يقول ذو الرمة:

وإنا لنرضى حين نشكو بخلوة إليهن حاجات النفوس بلا بذل (20)

لفظ (حين) هنا أفاد تحديد زمان الشكوى من حاجة النفوس.

3 – لفظ (الصباح):

أ – يقول ذو الرمة:

بني دواب إني وجدت فوارسي أزمة غارات الصباح الدوالف. (21)

الشاعر في هذا البيت يخاطب بني دواب، وهم رهط هشام الذي كان يهاجيه من بني امرئ القيس بن زيد، ويقصد (بأزمة غارات): أنهم يقودون الخيل في الغارات وذلك في زمن محدد، وقد رمز لهذا الزمن بلفظ الصباح، وهو من الألفاظ التي تحدد الزمان أي: زمان غاراتهم في الصباح.

ب – يقول ذو الرمة:

أعراض ريح الصبا تزهي جوانبها عند الصباح مع الحصباء بالمور. (22)

الشاعر يريد هنا أن هذه المنازل ريح الصبا، تزهي جوانبها بالتراب الناعم، والحصى الصغار، ولكن هذا في أي زمن؟ ذكر أنه عند الصباح، وهو هنا حدد زمان هذا الوصف بدقة؛ لأن لفظ (الصباح) جاء معرفا بالألف واللام.

ج – يقول ذو الرمة:

أبى عز قومي أن تخاف ظعائني صباحا وأضعاف العديد المجمهر. (23)

نجد في هذا البيت أن الشاعر لا يقصد الزمان الحقيقي للفظ (صباحا)، وإنما هو يعبر عن عزه وشجاعته دائما، وفي كل وقت، وهذا المعنى المستفاد من صيغة النكرة المنونة للفظ.

4 -لفظ (وهن):

أ -يقول ذو الرمة :

ألم خيال مية بعد وهن يرى الآلة خاشعة السنام. (24)

ورد لفظ (وهن) في البيت السابق يريد به الشاعر بعد ساعة من الليل، أي: أتاه خيال محبوبته بعد ساعة من الليل، فقد استخدم لفظ (وهن) وهو يريد تحديد المدة الزمنية التي يزوره فيها خيال مية.

ب – يقول ذو الرمة:

كأن دويه من بعد وهن دوي غناء أروع مستهام. (25)

الشاعر هنا يقصد بأن دوي محبوبته بعد ساعة من الليل كأنه غناء جميل، وقد حدد زمان ذلك بلفظ (وهن)، فقد أعطى هذا اللفظ فترة زمنية محددة.

ثانيا – دلالات الزمان في شعر ذي الرمة:

وردت ألفاظ كثيرة في شعر ذي الرمة تدل على الزمان ولكل منها استخدام يوضح المعنى المراد منه والدلالة التي يشير اليها ومن ذلك:

1- دلالة الزمان على طول المدة:

قد يستخدم الشاعر لفظا معينا ولكنه يريد به التعبيران شيء آخر كطول المدة الزمنية مثلا، كاستخدامه لفظ (عشرين) وهو لا يريد به العدد نفسه، ولكن يعبر به عن المدة الطويلة، قال ذو الرمة:

أ -فلم أر عذرا بعد عشرين حجة مضت لي، وعشر قد مضين إلى عشر. (26)

فالشاعر هنا عبر بلفظ (عشرين) ليس لمجرد ذكر العدد، ولكن ليدل على طول المدة.

ب -يقول ذو الرمة:

متى العهد ممن حلها أم كم انقضى من الدهر مذ جرت غليها الروامس. (27)

ويقصد ذو الرمة هنا: متى العهد نزل بالديار، ام ممن يحلها، ثم يرتحل عنها وهو يعبر عن طول المدة بينه وبين دياره، فقد طال الدهر، وأصبحت كأنها دفنت بواسطة الرياح، فعبر ب (متى)، وألفاظ أخرى مثل العهد، والدهر، عن طول المدة الزمنية بينه، وبين دياره، وهذا يدل على حنينه واشتياقه لها.

ج -يقول ذو الرمة:

ألا ليتنا يا مي ندري متى نلقاك في عوج اللمام. (28)

عبر ذو الرمة عن طول المدة الزمنية التي تفصله عن (مي) بقوله: متى نلقاك، فاستخدم (متى) للتعبير عن ذلك؛ لأن متى تدل على الزمان المطلق.

2 – دلالة الزمان على الشوق:

أ – يقول ذو الرمة:

لمي كأن الريح، والقطر غادرا وحولا على جرعائها برد ناشر. (29)

الشاعر ذو الرمة يعبر عن شوقه لمحبوبته (مي)، وذلك بذكر المدة التي تفصله عنها فيقول: هذه الرسوم ل (مي)، وكأن الريح والمطر خلفا على هذه المنازل بردا ناشرا سنة كاملة حتى أصبح الرمل اللين كالآثار.

3 – دلالة الزمان على الاستمرار:

الشاعر العربي دائما يعبر عن أحاسيسه، ومشاعره بدقة شديدة، وبألفاظ بسيطة فيعبر عنها أحيانا بصيغة المضارع؛ ليعطيها صفة الاستمرار، ومن ذلك قوله:

سقية أعداد يبيت ضيعها ويصبح محبور وخيرا من الحبر. (30)

سقية أعداد أي: كأنها بردية يسقيها الماء الذي لا ينزح، وهي مثل القصب الناعم، الابيض كالبردي وهنا استخدم الفعل المضارع (يبيت) و (يصبح) ليدل على استمرار النعومة والبياض.

ثانيا – جمالية المكان في شعري الرمة:

1-مفهوم المكان:

أ - **المكان لغة** عرف علماء اللغة المكان بأنه الموضع وجمعه: أماكن، وأمكنة (31)، قال ابن منظور: " المكان: الموضع، والجمع: أمكنة كقذال، وأقذلة وأماكن جمع الجمع "(32) ، وعرفه ابن سيده بقوله: " والمكان: الموضع، والجمع: أمكنة، كقذال، وجمع الجمع: أماكن " (33) ، ونجد في المعجم الوسيط "المكان: جمع أماكن، وأمكنة، وأمكن: موضع كون الشيء والمكانة جمع مكان، والموضع والمنزلة، يقال: مكين فيه، أي: موجود فيه " (34)

هذه بعض تعريفات المكان في المعاجم اللغوية، ومن خلالها يتبين أن المكان له احتمالات كثيرة، أهمها: أن الحياة لا تتم إلا في مكان يأخذ منها طابعها، ويعطيها صفاته؛ لأن فيه معنى الحدث.

ب - **تعريف المكان اصطلاحا :** كثرت تعريفات المكان وتعدد ت عند علماء اللغة، منها: "المكان وسط يتصف بطبيعة خارجية لأجزائه، إذ يتحدد في موضع أو محل إدراكاتنا، وهو يحتوي على كل الإمدادات المتناهية، وأنه نظام تساوق الأشياء في الوجود، ومعيتها الحضورية في تلاصق وممارسة، وتجاور وتقارن. " (35)

أهمية المكان في الشعر العربي : للمكان أهمية في الأدب العربي شعرا، ونثرا وخصوصا الشعر، وهذا واضح في الشعر الأموي، فهو يرمز إلى الواقع؛ لأن المكان يعيد خلق الصورة الشعرية، ويزيدها عمقا في فهم القصيدة (36)، وهذا العمق يمكننا من فهم الصورة الشعرية بوضوح، وهذا ما نفهمه من قول الدكتور عبد القادر الرباعي: "إن التشكيل المكاني الشعري قد منح حواسنا القدرة على الإدراك الحسي الذي تجاوزنا به سطوح المواد المتجمعة إلى الأعماق البعيد ة المفتوحة على اللامحدود من الأمكنة. " (37) ، ومن هنا فإن أهمية المكان الشعري تتركز في تعبيره الدقيق عن القصة الشعرية، وبالتالي أصبح عاملا مهما في الصورة الشعرية المتكاملة، فهو يعطيها خصوصية، وأصالة، فالمكان عنصر من عناصر البناء الفني. (38) بالإضافة إلى العناصر الأخرى التي تشكل الصورة الشعرية.

أنواع المكان: تعددت أنواع المكان، وكثرت، ولكن أهمها ما يلي:

1- المكان المجازي : هو المكان الذي نجده في الصورة الشعرية، وهو جزء مهم منها.
2- المكان الهندسي الواقعي : هو الذي تقوم الشخصيات بعرضه من خلال الصورة الشعرية.
3- المكان الخيالي : وهو موجود في ذاكره الشخصية، ولكنه يقوم بإثارة ذكرى المكان عند المتلقي. (39)

وهكذا فان هناك العديد من أنواع المكان، إلا أنني ذكرت الأنواع الثلاثة المهمة لأنها تبدأ بالحيز المغلق، والمفتوح في الصورة الشعرية، فالمكان يحمل بعدا جماليا فنيا بالترابط مع العناصر الأخرى في الشعر، وإذا تمحصنا شعر ذي الرمة وجدنا فيه العديد من ألفاظ المكان التي تعطينا صورة واضحة عن الواقع العربي، والطبيعة العربية، وقد كانت هذه الألفاظ كثيرة، ومتنوعة، ولكل منها موضع وضعت فيه أدت دلالة واضحة، ومركزة للصورة التي يريد الشاعر إيضاحها لنا.

وقد وردت في ديوان ذي الرمة الكثير من الألفاظ التي تدل على المكان وهذه بعض منها:

1- (أمام):

أ- يقول ذو الرمة:

وتحت قيود الرحل حرف شملة سريع أمام العملات نصولها. (40)

في هذا البيت يصف الشاعر الإبل القوية(العملات) التي يعمل عليها، و(قتود الرحل) هي عيدان الرحل والحرف من الإبل هي الضامرة والشملة: الإبل السريعة ونصولها:

أي: خروجها والمعنى المراد بالبيت هو أن الإبل الضعيفة تخرج أمام الإبل القوية النجيبة، وقد استخدم ذو الرمة ظرف المكان (أمام) ليوضح مكان وجود الإبل السريعة، وهو ظرف مكان منصوب ومضاف، و(العملات) مضاف إليه مجرور.

ب – يقول ذو الرمة:

ذكرتك أن مرت بنا أم شادن أمام المطايا تشرئب وتسنح. (41)

نلاحظ قوة الألفاظ في هذا البيت ف (أم شادن)، يقصد بها ظبية معها ولدها حين شدن وقوي ومشوهو (المطايا): الإبل، وهو يريد أن الظبية تجري هي وولدها أمام الإبل، فحدد المكان الذي تجري فيه وهو أمام المطايا، و (أمام) ظرف مكان منصوب وعلامة نصبه الفتحة، وهو مضاف، و (المطايا) مضاف إليه.

ج – يقول ذو الرمة:

تراها أمام الركب في كل منزل ولو طال إيقاف بها وترحل. (42)

ورد الظرف (أمام) مضافا إلى الاسم الظاهر (الركب) أي: قدامه، و (أمام) مضاف، و(الركب): مضاف إليه، وإضافته هي التي وضحته؛ لأن الظرف (إمام) من الظروف المقاربة للإبهام. (43)

د – يقول ذو الرمة:

طلوع إذا صاح الصدى جنباتها أمام المهارى في مهولة النقب. (44)

يريد ذو الرمة أن طلوع هي الناقة تطلع أمام الركب، و(الصدى): طائر وهو ذكر البوم أي: إذا صاح الطائر حول الناقة سبب لها الذعر، وهي تسير في طريق الجبل الموحشة، وهنا وضح ذو الرمة مكان وجود الناقة فقال أمام المهارى، أي: أمام الركب ف (أمام): ظرف مكان وهو مضاف، و(الركب) مضاف إليه مجرور.

2- (تحت):

أ -يقول ذو الرمة:

يدب القصايا عن سراة كأنها جماهير تحت المدجنات الهوابط. (45)

استخدم الشاعر هنا ظرف المكان (تحت) ليبين مكان نوقه التي وصفها ب (القصايا)، وهي الأواخر من نوقه، فذكر أنها تحت المدجنات أي: تحت السحائب الماطر، و(تحت): هنا ظرف مكان منصوب، وهو مضاف، والمدجنات مضاف إليه مجرور.

ب – يقول ذو الرمة:

أدرنا على جرم، وأولاد مدحي رحا الموت تحت اللامعات الخوافق. (46)

الشاعر هنا يصف قوته هو وقبيلته، وشجاعتهم فهم يديرون رحا الموت، أي: في المعارك تحت اللامعات الخوارق وهي الأعلام، والرايات التي تخفق عالية، و(تحت): ظرف مكان منصوب، وهو مضاف و(اللامعات): مضاف إليه مجرور.

ج -يقول ذو الرمة:

كأنه والهراء والموت يركضه أعراف أزهر تحت الريح منتوج. (47)

وفي هذا البيت يريد الشاعر أن السراب والهراء وهو ما استوى من الأرض، كأنها أعراف أزهر أي: الماء الأبيض، ويقصد به ماء المطر، وهذا الماء مكان وجوده تحت الريح، أي أنه حين خرج من السحاب يكون تحت الريح (48)، و (تحت) ظرف مكان منصوب وهو مضاف و(الريح) مضاف إليه مجرور.

د-يقول ذو الرمة:

أناخوا لتطوى تحت أعجاز سدفة أيادي المهارى والجفون الشواهد. (49)

نلاحظ في هذا البيت أن ذا الرمة يريد أن الأيدي تجئ وتذهب تحت الليل الذي عبر عنه ب (أعجاز سدفة)، ويقصد بها أواخر الليل، وبقية من سواده، فأضاف الظرف (تحت) إلى أعجاز، وهي أيضا أضيفت إلى (سدفة)، وهي بقية من سواد الليل. (50)

3-(فوق):

أ -يقول ذو الرمة:

زين الثياب وان أثوابها استلت فوق الحشية يوما زانها السلب. (51)

الشاعر في هذا البيت يمدح محبوبته ويقول: إنها إذا لبست الثياب فإنها تزينها، وقد استخدم الظرف المكان (فوق)، وهو منصوب وعلامة نصبه الفتحة، وهو مضاف، و(الحشية) مضاف إليه.

ب -يقول ذو الرمة:

فاقبل الحقب والأكباد ناشرة فوق الشراسين من أحشائها تجب (52)

ذو الرمة هنا يصف الأمهات، ويقول إن أكبادهن تعبت من الفراق، وهذه الأكباد مكانها فوق الشراسين، وهي الأضلاع، فهو هنا حدد مكان الكبد باستخدام ظرف المكان (فوق)، وهو مضاف و(الشراسين) مضاف إليه مجرور.

ج -يقول ذو الرمة:

إلى قنة فوق السراب كأنها كميت طواها القود فاعوج لها. (53)

ذو الرمة في هذا البيت يصف الجبال الصغيرة، وهي (قنة) بأنها تضرب إلى الحمرة، وهي فوق السراب، وهو هنا يصف جمال الجبال، وهي فوق السحاب، فأصبح لونها يميل إلى الحمرة، وقد استخدم هنا ظرف المكان (فوق)؛ لأنه يصف هذا المشهد المتكامل وليس الجبل بحد ذاته، وإنما كونه موجودا فوق السحاب، و(فوق) ظرف مكان مضاف و(السراب): مضاف إليه مجرور.

4 – (خلف):

أ -يقول ذو الرمة:

فكف من غربه والغضف يسمعها خلفه السبيب من الإجهاد تنتحب. (54)

الشاعر في هذا البيت يصف الثور عندما نقص نشاطه، حتى أصبح نفسها شديدا، حتى صارت الكلاب تسمعها من خلف ذنب الثور، وهو هنا حدد مكان الكلاب، فهي قريبة من الثور لدرجة أنها تسمع نفسه الشديد، وقد استخدم ظرف المكان (خلف)، وهو مضاف، و(السبيب): مضاف إليه مجرور.

ب -يقول ذو الرمة:

أهضم ما خلف الضلوع أجيدا موثق الخلق بروقا مبعدا (55)

في هذا البيت الشاعر أتى بظرف المكان (خلف) مضافا إلى الاسم الظاهر (الضلوع)، وهو مضاف إليه مجرور بالكسرة.

ج - يقول ذو الرمة:

كأنه حين يرمي خلفهم به حادي ثمان من الحقب السماحيق. (56)

في هذا البيت استخدم الشاعر ظرف المكان (خلف) مضافا إلى الضمير (هن)، وهو في محل جر مضاف إليه. وهكذا فإن الظرف يضاف إلى الاسم الظاهر ويضاف إلى الضمير.

دلالات المكان في شعر ذو الرمة :

1 -دلالة المكان المقدس: يعتبر المكان من العناصر الأساسية في الشعر العربي، وخصوصا الأموي؛ لأنه يزيد من جمالية العمل الفني شعرا، أو نثرا، فهو يؤدي دورا مهما في تكوين هوية الكيان الاجتماعي بكل ما له من مقومات اجتماعية، وثقافية، ودينية، والمكان شيء مهم بالنسبة للعرب، إذ هو الملجأ الذي يعبر عن أخلاقهم، وواقعهم حتى أصبح ذا قيمة خاصة وعالية، فلا يسمح بالتعدي عليه، أو اغتصابه. (57)، و كما يكون الولاء للوطن قد يكون الولاء لمكان آخر غير وطن الإنسان ،وهذا المكان له مكان خاصة في فكر الإنسان ،ووجدانه ،وعقيدته ،وذلك ينطبق على بعض الأماكن مثل القدس ،و مكة ،و المدينة المنورة ، فهذه الأماكن لها وقعها الخاص على نفوس العرب منذ عصر الجاهلية ،فمكة كان لها مكانتها عندهم ،وقد وجدنا هذا من خلال آثارهم الشعرية، والنثرية ، فوصفوها باعتبارها مهدا للفكر ،والشعر، والنثر، بالإضافة إلى قدسية المكان والموقع , (58) وقد كانت مكة باعتبار الموقع ،و البيئة ،والسكان إلى جانب اعتبارها مكانا مقدسا مهادا طبيعيا للفكر، والأدب ،و هذا ما وجدنا في الشعر الأموي ومنه شعر ذي الرمة .

يقول ذو الرمة في وصف المكان المقدس (مكة):

وانصب وجهي نحو مكة بالضحى إذ ذاك عن فرط الليالي بدا ليا. (59)

الشاعر هنا يقول إذا شئت صليت الضحى في مكة، وهذا يدل على أن مكة لها مكانتها الدينية حيث ربط بينها وبين الصلاة، حيث تتجلى له الروحانية، والقداسة في مكة دون غيرها.

2 -**دلاله القبر (الحياة والموت):** القبر هو نهاية الإنسان، وهو المعبر للحياة الأخرى، وهو يعني تلك الحفرة التي يوارى فيها الجسد الفاني، وهذا المكان أي: القبر ورد في الشعر الأموي عند ذي الرمة، وذلك قوله:

وكم من لبلال من أب كان طيبا على كل حال في الحياة وفي القبر. (60)

ورد لفظ (القبر) عند ذي ا لرممه في مقابل لفظ (الحياة)، فهو قال: في الحياة وفي القبر، وكأنه يريد: في الحياة، وفي الموت وهو هنا يريد انه كم هناك من شخص كان من أب طيب، حسن الخلق دائما في حياته وبعد مماته، وعبر عن الممات بلفظ (القبر).

ب – يقول ذو الرمة:

فأجلين عن حتف المنية بعدما دنا دنوه المنصاع غير المراجع. (61)

استخدم الشاعر هنا لفظ (المنية) أي أن الموت إذا دنا فإننا ننصاع له.

3 -دلاله الصحراء: الصحراء العربية بما فيها من رمال، وجبال، وأودية هي المكان الدائم للشاعر ذي الرمة، وقد وجدنا كل ما يتعلق بهذا المكان في شعره، فلفظ (الصحراء) أحيانا يكون له دلالة اجتماعيه، أو سياسية في شعره، من ذلك قوله:

أ -كأن مطايانا بكل مفازة قراقير في صحراء دجله نسبح. (62)

فالشاعر هنا ذكر مكان هو صحراء وكأنه نهر يسبح فيه، فهو يصف مطاياه، وهي جمع مطيه، وهي ما يركب من الخيل، أو الإبل، وهي في المفازة، وهي الصحراء كأنها قراقير تصبح في نهر دجلة

ب - يقول ذو الرمة:

ترى فيه أطراف الصحاري كأنها خياشيم أعلام تطول وتقصر (63)

الخياشيم هنا هي أطراف الجبال، فهو يصف أطراف الصحراء وكأنها قمم جبال عالية تطول مرة، وتقصر مرة.

4 -دلالة السوق والمواسم: السوق هو المكان الذي يجتمع فيه الناس من كل الأجناس، والفئات، ويأتي إليه العرب من كل ألاماكن، وهو مكان مخصص للبيع والشراء، والسوق مكان للشعر والشعراء أيضا، ومن ذلك قول ذي الرمة:

توافى إليها الركبان في كل موسم ويحلى بأفواه الرواة نشيدها. (64)

الشاعر هنا يقول: إن هذه القوافل تتناقلها الركبان، وهم العرب الذين يأتون من بعيد من كل مكان، حتى يتناجلوا هذه القوافي في كل موسم، والموسم هنا يقصد به السوق أي: كل سوق من أسواق العرب، وفيه تباع الإبل، وتشترى، فإذا اشتروها وسموها بسماتهم.

5 – دلالة الأرض والحيوان: الأرض وما عليها من حيوانات نجد له ذكرا في شعر ذي الرمة؛ لأن شعره يجسد الواقع الذي يعيشه الإنسان العربي منذ قديم الأزل فنجده يقول:

منعنا سنام الأرض بالخيل والقنا وأنتم خنازير القرى وقرود ها. (65)

الشاعر هنا يفخر بنفسه، وقبلته، فيقول: منعنا أنفسنا من خير الأرض بالخيل، ويذم أعداءهم بأنهم خنازير وقرود.

وهكذا كانت بعض المشاهد المكانية في شعر ذي الرمة تجمع بين الكثير من الأحداث التي أبرزها الشاعر بما فيها من تعابير، وإيحاءات، وحركة. يقول ذو الرمة:

فما انشق ضوء الصبح حتى تعرفت جداول أمثال السيوف القواطع (66)

في هذا البيت شبه الشاعر الجداول وهي الأنهار بالسيوف في المضي، والبياض، وذلك وقت الصباح وهناك العديد من الأبيات التي ذكر فيها ذو الرمة أشياء من الطبيعة، والأماكن التي تحيط به، وقد كان استخدام الشاعر لهذه الألفاظ استخداما دقيقا، حيث أتى بهذه الصورة التشبيهية بألفاظ من الواقع الذي يعيشه.

الخاتمة:

وهكذا بعد أن عرضنا جزءا بسيطا من ألفاظ الزمان، والمكان في شعر ذي الرمة ، وجدنا أننا لم نقف إلا عند اليسير جدا مما جاء في الديوان وكان هذا على سبيل المثال فقط ، وكان الزمان لديه ألفاظ متنوعة حسب المعنى المراد، وقد استخدمها الشاعر بدقة متناهية أعطت الكلام بعدا زمنيا جميلا ، أما المكان فوجدنا له الأثر الكبير عند شاعرنا ذي الرمة فجعلنا نتخيل الواقع العربي ، والصحراء العربية و كأننا عشنا فيها بما فيها من صحراء، وأنهار، وحيوانات ،وكانت هذه الدراسة المبسطة للزمان ، والمكان في شعر ذي الرمة قد وصلت إلى بعض النتائج منها :

1. دراسة الزمان والمكان أوضحت لنا أن الشعراء وصفوها وصفا صادقا، وجميلا، ودقيقا
2. الشاعر الأموي يهتم بالزمان لأنه يمثل رهبة شعوره بفكرة الموت.
3. الشعراء الأمويون يذكرون بعض وقائعهم، وأيامهم، وحروبهم بكلمات زمنية مثل (اليوم، والليل، والصباح)
4. استخدم ذو الرمة صيغ تدل على الزمان للتعبير عن دلالات أخرى.

5. المكان عنصر أساسي في الشعر العربي لما له من دور مهم في حيا ة الإنسان.
6. يؤدي المكان دورا كبيرا في القصة الشعرية التي يريدها الشاعر.
7. العلاقة بين الزمان والمكان علاقة ترابط، فوجودهما معا في العمل الشعري يعطيه توضيحا قويا لما يريده الشاعر.

الهوامش:

1. ديوان ذي الرمة، شرح الباهلي، تحقيق: عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الإيمان، جدة، ط1 - 1982م 1402ه
2. انظر: المصدر السابق ،23/1
3. انظر: معجم العين للفراهيدي، مكتبة لبنان، بيروت لبنان، ط1، 2004م ص: 339
4. المعجم الوسيط شوقي ضيف، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004 ص: 401
5. انظر: المعجم الفلسفي، جميل صليبيا دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982م. 636/1
6. في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، عبد الملك مرتاض، عالم المعرفة، الكويت، 1998م، ص: 172
7. انظر: شعرية الفضاء المتخيل والهوية في الرواية العربية، حسين نجمي، المركز الثقافي، ط1 ،2000م، ص: 65
8. انظر: في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، ص: 193
9. انظر: شعرية تشكيل الخطاب، نبهان حسون السعدون، مكتبة الملك فهد الوطنية، ص: 15
10. انظر: المصدر السابق، ص: 15
11. ديوان ذي الرمة، 187/1
12. المصدر السابق، 2 / 1081
13. المصدر السابق، 1/ 29
14. المصدر السابق، 1 / 155
15. المصدر السابق، 595/1
16. المصدر السابق، 2 / 913
17. المصدر السابق، 3 / 1586
18. المصدر السابق 1 / 31
19. المصدر السابق، 1/ 96
20. المصدر السابق، 1/ 146
21. المصدر السابق، 254/1
22. المصدر السابق، 1817/3
23. المصدر السابق ،2 / 633
24. المصدر السابق، 1398/2
25. المصدر السابق 2/ 1401
26. المصدر السابق، 942/2
27. المصدر السابق ،2 / 117
28. المصدر السابق، 2/ 397
29. المصدر السابق، 3/ 1666
30. المصدر السابق ،954/2
31. انظر: لسان العرب، لابن منظور (ت: 630ه)، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ط1، 2003م، مادة (كون)، 414/13
32. المصدر السابق، مادة (كون)، 414/13
33. المعجم الوسيط، شوقي ضيف، ص: 882

34. المصدر السابق، مادة (كون)، ص: 882
35. تشكيل المكان في الخطاب السردي، نبهان حسون السعدون، قراءات في السرديات العراقية المعاصرة، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2015م، ص: 17
36. انظر: الصورة الفنية في النقد الشعري، عبد القادر الرباعي، دار العلوم، 1984م، ص: 193
37. إشكالية المكان في النص الأدبي، ياسين نصير، دار الشؤون الثقافية العامة، 1986م، ص: 8
38. انظر: المصدر السابق، ص: 8
39. انظر: شعرية الخطاب السردي، محمد عزام، دراسة من منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، 2005م، ص: 66
40. ديوان ذي الرمة، 1/ 164
41. المصدر السابق، 2 / 1197
42. المصدر السابق، 1604/3
43. انظر: الأصول في النحو، لابن السراج (ت: 316ه)، تحقيق: عبد الحسين الفتلين، مؤسسة الرسالة، 203/1
44. ديوان ذي الرمة، 1771/3
45. المصدر السابق، 212/1
46. المصدر السابق، 1/ 255
47. المصدر السابق، 2/ 991
48. انظر: المصدر السابق، 2/ 991
49. المصدر السابق، 2/ 1106
50. انظر: المصدر السابق، 1106/2
51. المصدر السابق، 29/1
52. المصدر السابق، 70/1
53. المصدر السابق، 1/ 515
54. المصدر السابق، 104/1
55. المصدر السابق، 308/1
56. المصدر السابق، 2 / 988
57. انظر: موسوعة الأدب العربي الكويتي الحديث، نصوص مختارة ودراسات، إبراهيم الشطي، 1990م، 52/2
58. انظر: المصدر السابق 52/2
59. ديوان ذي الرمة، 1308/2
60. المصدر السابق، 2/ 972
61. المصدر السابق، 804/2
62. المصدر السابق، 1226/2
63. المصدر السابق، 631/2
64. المصدر السابق، 2/ 1240
65. المصدر السابق، 1241/2
66. المصدر السابق، 804/2